

البساطة: حين يكون الجوهر أقوى من الظروف

ليست البساطة كما يظنّها كثيرون علامة ضعف،
ولا دلالة على قلة الحيلة أو ضيق الأفق.
بل هي، في حقيقتها، إحدى أرقى حالات الوعي الإنساني،
وأصدقها اتصالاً بالفطرة.

البساطة ليست سلوكاً عابراً،
ولا مظهرًا يُستعار،
بل نيشان داخلي لا يحمله إلا من تحرّر من الحاجة إلى التقمّص.
من يعيش البساطة يُعفى من لعب الأدوار،
لأنه لم يعد محتاجاً أن يكون غير نفسه.

الظرف لا يصنع البساطة

قد يكون الإنسان مليارديراً أو سلطاناً،
وقد يكون أفقر الفقراء،
لكن البساطة لا تتبدل بتبدل المواقع.
هي غير مربوطة بالمال،
ولا بالسلطة،
ولا بالمكانة.

من كانت بساطته نابعة من فطرته،
يحملها معه أينما كان،
ولا يفقدها حين تتغير الظروف.

وهنا يظهر الفرق الجوهرى
بين من يملك شخصية
ومن تملكه الظروف.

البساطة والتوكل

البساطة الحقيقية لا تنفصل عن التوكل.
فمن يتوكل حقاً
لا يخاف على صورته،
ولا يضخم ذاته،
ولا يصغرها.

التوكل يحرر الإنسان من القلق،
والبساطة هي أثر هذا التحرر.
من لا يتوكل، يتقمص.
ومن يتقمص، يعيش التوتر المزمّن ولا يستطيع أن يعيش البساطة بصدق.

الاتزان الداخلى شرط لا نتيجة

ليست البساطة سهلة،
ولا يصل إليها كل من أرادها.
شرطها الأول نفس سليمة،
واتزان داخلى حقيقى.

النفس المضطربة تحتاج التعقيد لتختبئ،
وتخاف من الوضوح لأنه يكشفها.
أما النفس المستقرة،
فتجد فى البساطة بيتها الطبيعى.

لهذا، البساطة لا تُطبق بالتقليد،
ولا تُكتسب بالشعارات،
بل تُولد حين يصلح الإنسان نفسه.

البساطة وقدرة الفهم العميق

الإنسان الذى يحمل بساطة فطرية
يمتلك قدرة عجيبة على فهم الأشياء والناس.

ليس لأنه أذكى من غيره،
بل لأنه أقرب إلى الجوهر.

البسيط عن فطرة
يستطيع أن يقترب من جميع مكونات المجتمع:
من السلطان كما من الفقير،
من صاحب النفوذ كما من المعدم،
دون توتر،
ودون تصنع،
ودون شعور بالدونية أو التعالي.

لهذا يكون اختراقه للمجتمع حقيقياً،
وفهمه للفروق واقعياً،
لأنه يرى الناس خارج أقنعتهم
لا من خلال طبقاتهم.

على العكس من ذلك،
الإنسان الذي لا يستطيع الاختلاط
إلا بمن يشبه طبقته،
يظل فهمه محدوداً.
وإذا اختلط بغيرها
يكون اختلاطه سطحيًا،
محكوماً بالحذر،
ومشحوناً بالأحكام المسبقة.

فهمه للآخر ليس نابعاً من معايشة،
بل من صورة ذهنية.
ولهذا يخطئ التقدير،
ويعجز عن قراءة المجتمع قراءة متوازنة.

رُقِّي البساطة

البساطة أسلوب حياة راقٍ جداً
لمن يفهم معناها.
رُقِّيها ليس في الشكل،
بل في الوعي.
ليس في قلة الأشياء،
بل في قلة الادعاء.

البسيط عن فهم
لا يبالغ،
ولا يستعرض،
ولا يستنزف نفسه بإثباتات فارغة.
حضوره هادئ،
وكلامه موزون،
ووجوده ثابت.

حين تسقط الظروف

الذين يرون البساطة ضعفاً
غالباً لم تُزيّنهم شخصياتهم،
بل زيّنتهم ظروفهم.

وحين يسقط الظرف،
تسقط الشخصية معه.

الحياة لا تعاقبهم،
بل تكشفهم.
لأن البساطة بطبيعتها
تزيل القشرة
وتُبقي الجوهر.

خلاصة

البساطة ليست للجميع.
هي لمن بنى نفسه من الداخل،
ولمن فهم الناس قبل أن يصنّفهم،
ولمن حمل اتزانهم معه على الدوام،
ولمن أدرك أن القيمة لا تُلبس...
بل تُعاش.